المحاضرة (1): النّحو الوظيفيّ: مفهومه:

تمهيد: لم يعد مفهوم النّحو في اللسانيات مقتصرا على تلك القواعد الخاصّة بلغة من اللغات القديمة: كالنّحو العربيّ، والنّحو العبريّ، والنّحو المعياريّ، ونحو اللغات اللاتينيّة؛ بل صار يتعدّاه إلى مفهوم النّظريّة التي تتطوق إلى بناء نظريّة نحويّة صالحة لوصف جميع اللغات الطّبيعيّة، تختلف فيه كلّ نظريّة عن غيرها من النّظريات في تمثّل بنية هذا النَّحو، وعلى هذا الأساس جاءت هذه المحاضرة الأولى من مادّة النّحو الوظيفيّ؛ لتقف على تحديد مفهوم النّحو أوّلا لغة واصطلاحا، ثمّ مفهوم النّحو الوظيفيّ؛ باعتباره أحد نظريات البحث اللسانيّ في هذا العصر.

أوّلا- مفهوم النّحو: يختلف مفهوم النّحو في دلالته اللغويّة عن مفهومه في دلالته الاصطلاحيّة وإن كان يشترك معه في أحد معانيه، وهذا بحكم اتّساع مجالات استخدام هذا المصطلح في اللسانيات الحديثة، وفيما يلي تحديد دلالاته اللغويّة ومفهومه الاصطلاحيّ في اللسانيات.

1- النّحو لغة: تدلُّ مادّة (ن ح و) في اللغة على القصد والاتّجاه؛ فقد جاء في مقاييس اللغة أنّ "النّون والحاء والواو كلمة تدل على قصد. ونحوتُ نحوَه. ولذلك سُمِّي نحو الكلام؛ لأنّه يَقصد أصول الكلام؛ فيتكلّم على حسب ما كان العرب تتكلّم به."[1] وفي لسان العرب "النّحو: القصد والطّريق، يكون ظرفا ويكون اسما."[2] فالظّرف، نحو قولك: سرت نحوك. والاسم، نحو: النَّحو هو انتحاء سمت كلام العرب.

2- النّحو اصطلاحا: لم يعد مفهوم النّحو -كما سبقت الإشارة- مع نشأة اللسانيات وتطوّرها في في العصر الحديث، مقتصرا على تلك القواعد المعروفة عند النّحاة قديما، والتي ترتبط عادة بما يُسمَّى الأبواب النّحويّة: كالفاعل، والمفعول، والمبتدأ والخبر...إلخ. بل تطوّر مدلوله ليشمل مفاهيم عدّة تشمل العلم المقابل للسانيات، أو أحدّ فروعهما معا، أو أحد نماذجها النّظريّة، أو النّظريّة في حدّ ذاتها. وفي هذا المقام تحديدا يشير أحمد المتوكّل إلى أنّ مصطلح النّحو في اللسانيات "لم يعد ينطبق على مفهوم واحد؛ بل على عدّة مفاهيم أهمّها أربعة؛ أولا: النّحو في مقابل اللّسانيّات، وثانيا: النّحو باعتباره فرعا

---

[1]- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السّلام هارون، دط. دمشق: 1979، دار الفكر، ج5، مادّة (نحو).

[2]- أبو الفضل محمّد بن مكرم بن علي جمال الدّين ابن منظور، لسان العرب، بيروت: 1414، دار صادر، ج15، مادّة (نحو).

من فروع الدّرس اللّغويّ، وثالثا: النّحو باعتباره نمذجة صوريّة للواقع اللّغويّ، ورابعا: النّحو بالمعنى الواسع أي النّظريّة."[1] وفي ما يلي التّفصيل في مفهوم كلّ مدلول منها على حدة:

2-1 النّحو في مقابل اللّسانيّات: ينطلق أحمد المتوكّل في رصد هذا المعنى، من الحدود التّاريخيّة التي وضعها المؤرِّخون للدراسات اللغويّة عامّة؛ حيث دأب المشتغلون بتأريخ الدّرس اللغويّ على التّمييز بين المرحلة القديمة (مرحلة الدّراسات النّحويّة) والمرحلة الحديثة (مرحلة اللسانيات). معتبرين بذلك النّحو في أيّ لغة من اللغات، مرحلة من مراحل تطوّر الدّرس اللغويّ، واللسانيات امتدادا طبيعيا لها، على الرّغم مما بينهما من فروق واختلاف؛ من حيث ظروف النّشأة، والموضوع والهدف كما أشار إليه أحمد المتوكّل.[2]

2-2 النّحو فرعا: يستمدُّ النّحو هذا المعنى كما وقف عليه أحمد المتوكِّل، من إطلاقه على أحد فروع الدّرس اللغويّ القديم أو اللسانيات حديثا؛ حيث يختصّ بالتّركيب أو بالصّرف أو يشملهما معا. ويتعالق مع مستويات أخرى: كالمستويين الصّوتيّ والدّلاليّ داخل جهاز واصف واحد.[3] ومهمّته الأساسيّة في هذا المستوى من اللغة تحديدا هو كشف القواعد الخاصّة ببناء الجمل أو الكلمات داخله.

2-3 النّحو النّموذج: يُعَدُّ معنى النّموذج أحدثُ استعمالات مصطلح النّحو، وأكثرُها انتشارا في أدبيات اللسانيات المعاصرة؛ من حيث هو تمثيل مجرّد لبنية الأنحاء اللغويّة. والبحث اللسانيّ في أيّ نظريّة يقوم أساسا على صياغة نموذج مُصورَن لتمثيل بنية هذه الأنحاء، تصف من خلاله قدرة المتكلّم-السّامع اللغويّة/ التّواصليّة. وتختلف هذه النّماذج المعتمدة في تمثيل بنية الأنحاء اللغويّة بين نظريّة لسانيّة وأخرى حسب نظرتها إلى اللغة، كما تختلف من مرحلة إلى مرحلة بالنّسبة لكلّ نظريّة حسب التّطورات التي يعرفها البحث اللساني فيها. وقد مرّت هندسة النّموذج في اللسانيات -كما أشار إليه أحمد المتوكّل- بمرحلتين: المرحلة الأولى؛ حيث كان النّحو ينبني على مجموعة من المكوّنات: كالمكوّن التّركيبيّ والمكوّن الدّلاليّ، والمكوّن الصّوتيّ. والمرحلة الثّانية؛ حيث صار النّحوُ يُصَاغُ على شكل قوالب، يُفضي بعضها إلى بعض أو يكون بعضها دَخْلا أو خَرْجا لبعض، وهي هندسة مستوحاة

---

[1]- أحمد المتوكّل، المنحى الوظيفيّ في الفكر اللّغويّ العربيّ الأصول والامتداد، ط1. الرّباط: 2006، دار الأمان ص36.

[2]- ينظر: أحمد المتوكّل، المنحى الوظيفيّ في الفكر اللّغويّ العربيّ الأصول والامتداد، ص36-37.

[3]- ينظر: أحمد المتوكّل، المنحى الوظيفيّ في الفكر اللّغويّ العربيّ الأصول والامتداد، ص38.

من الأنساق المعلوماتيّة بالإضافة إلى ما توصّلت إليه الدّراسات النّفسيّة–اللغويّة حول موضوع التّكوين القالبيّ للدّماغ البشريّ.[1]

2-4 النّحو النّظريّة: أخذ مصطلح النّحو مفهوم النّظريّة توسُّعًا، بعد أن صار يُطْلَقُ على نظريّة لسانيّة بعينها: كالنّحو التّوليديّ التّحويليّ، والنّحو المعجميّ الوظيفيّ، ونحو الأحوال، والنّحو المُركّبيّ المُعمَّم، والنّحو الوظيفيّ.[2] وهذا باعتبار أنّ النّظريّة اللسانيّة في حدّ ذاتها هي جهاز واصف، وأنّ أوّل ما تستهدفه في وصفها لبنية اللغة، هو المستوى النّحويّ أو المستوى التّركيبيّ من اللغة؛ كمستوى أساس في التّحليل اللسانيّ.

والتّرسيمة الآتية تلخّص مجمل هذه المفاهيم التي يأخذها مصطلح النّحو في اللسانيات خلال مراحل تاريخها:

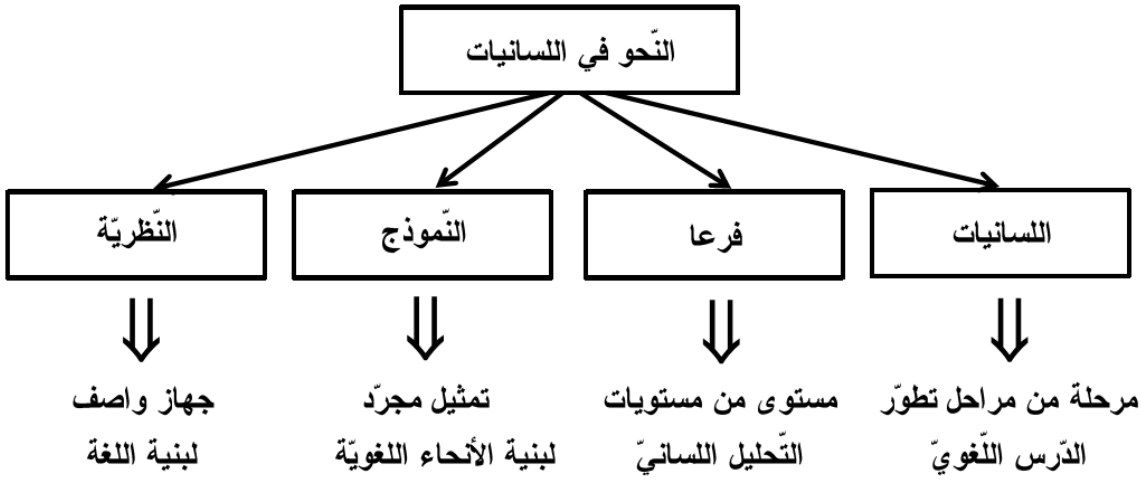

أوّلا– مفهوم الوظيفة في اللسانيات: يختلف مفهوم الوظيفة في دلالته اللغويّة كلّ الاختلاف عن مفهومه في دلالته الاصطلاحيّة، كما يختلف في دلالته الاصطلاحيّة بين اللسانيّين الغربيّين والنّحاة العرب المحدثين، بحكم استخدامه في معنيين أو معاني مختلفة بينهما. وفي ما يلي التّفصيل في دلالة الوظيفة اللغويّة، ودلالتها الاصطلاحيّة عند كلّ من اللسانيّين الغربيّين والنّحاة العرب المحدثين.

1– الوظيفة لغة: تدلّ مادّة (و ظ ف) في اللغة على التّقدير عموما، فقد جاء في مقاييس اللغة لأحمد ابن فارس (395هـ) أنّ "الواو والظّاء والفاء: كلمة تدل على تقدير شيء. يُقال: وظَّفتُ له، إذا قدّرتَ له كلّ حين شيئا من رزق أو طعام. ثمّ استُعِير ذلك في عظْم السَّاق، كأنّه شيء مقدّر، وهو ما

[1]– ينظر: أحمد المتوكّل، المنحى الوظيفيّ في الفكر اللّغويّ العربيّ الأصول والامتداد، ص39.

[2]– ينظر: أحمد المتوكّل، المنحى الوظيفيّ في الفكر اللّغويّ العربيّ الأصول والامتداد، ص39.

فوق الرّسغ من قائمة الدّابة إلى السّاق. ويقال وَظَفْتُ البعيرَ، إذا قصرتَ له القيدَ. ويقال: مرّ يَظِفُهُم؛ أي يتبَعُهُم كأنّه يجعل وظيفه بإزَاء أوظِفتِهِم."[1] وفي لسان العرب "الوظيفة من كلّ شيء: ما يقدَّر له في كلّ يوم من رزق أو طعام أو علف أو شراب، وجمعُها الوظائِفُ والوُظُفُ."[2] ولم يخرج مدلول الوظيفة في العصر الحديث عن هذا المعنى اللغويّ الذي هو التّقدير؛ من حيث هو عمل مقّدر براتب مقدّر خلال كلّ يوم أو أسبوع أو شهر، فقد جاء في المعجم الوسيط أنّ "الوظيفة مَا يُقدَّر من عمل أو طعام أو رزق وغير ذلك في زمن معيّن، والعهد، والشّرط، والمنصب، والخدمة المُعيَّنَة (مو) (ج) وُظُف ووَظَائِف."[3]

2- الوظيفة اصطلاحا: ظهر مصطلح الوظيفة في اللسانيات مع حلقة براگ (Prague Linguistic Circle) التي تأسّست سنة 1926، من قبل مجموعة من اللسانيّين الرّوس، في مقدّمته اللسانيّ نيكولاي سرگي تروبتسكوي (Nikolay Sergeevitch Trubetskoy: 1938) ورومان أوسيبوڤيتش جاكوبسون، وسيرجي أوسيبوڤيتش كارتسيڤسكي (Sergueï Ossipovitch Kartsevski: 1955) وكذا اللسانيين التّشيك، بما فيهم فيلام ماثيسيوس (Vilem Mathesius: 1945) وبوهوميل ترنكا (Bohumil Trnka: 1984) وبوهوسلاڤ هاڤرنيك (Bohuslav Havránek: 1978) وجان موكاروڤسكي (Jan Mukarovsky: 1975) وجان ريپكا (Jan Rypka: 1968) لتضمّ إليها فيما بعد اللسانيّ الفرنسيّ أندري مارتيني (André Martinet: 1999). والتي بالرّغم من اعتمادها على الأفكار البنويّة التي جاء بها دي سوسير، إلا أنّ أهمّ شيء ركّزت عليه في تحليلها اللسانيّ لمختلف مستويات اللغة هو الوظيفة الأساسيّة للغة، وهي التّواصل.[4] بعد أن اعتبرت "أنّ اللغة موضوع اللسانيات، لا توجد إلا على شكل ألسن متنوّعة، وأنّ أوّل اهتمام اللسانيّ هو دراسة هذه الألسن التي هي قبل كلّ شيء أداة للتّبليغ، وعلى هذا فإنّه من اللائق أوّلا وأساسا النّظر فيها ووصفها

---

[1]- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السّلام هارون، دط. دمشق: 1979، دار الفكر، ج6، مادّة (وظف).

[2]- أبو الفضل محمّد بن مكرم بن علي جمال الدّين ابن منظور، لسان العرب، بيروت: 1414، دار صادر، ج9، مادّة (وظف).

[3]- مجمع اللّغة العربيّة، المعجم الوسيط، ط4. القاهرة: 2004، مكتبة الشّروق الدّوليّة، مادّة (وظف).

[4]- ينظر: محمّد بودية، الوظيفيّة في اللسانيات العربيّة: دراسة في الرّسالة الهزليّة لابن زيدون، بحث ماجستير، جامعة محمّد خيضر بسكرة، الجزائر: 2008، ص14.

في سعيها. والأمر يتعلّق بتحديد الكيفيّة التي يحلّل بها كلّ لسان من الألسن، التّجربة البشريّة إلى وحدات دالة كما يتعلّق الأمر بالسّؤال عن استعمال الخيارات التي تقدّمها أعضاء النّطق."[1]

وإذا كانت الوظيفة الأساسيّة للغة وهي التّواصل، عند أندري مارتيني وغيره من أعلام المدرسة الوظيفيّة، هي الأساس في التّحليل اللسانيّ؛ فإنّها قد صارت في نظريّة النّحو الوظيفيّ، بمثابة المُنْطَلَق الأوّل في وصف الأنظمة اللسانيّة، بعد أن تحوّل فيها الرّبط بين البنية والوظيفة إلى مبدأ من مبادئ هذه النّظريّة. وفي هذا السّياق يشير أحمد المتوكّل إلى أنّ معنى الوظيفة في هذه النّظريّة، وغيرها من نظريّات البحث اللسانيّ الصّوريّة والوظيفيّة منها، قد أخذ مفهومين اثنين الأوّل هو (العلاقة) والثّاني (الدّور) ويُقْصَدُ بالوظيفة العلاقة "العلاقة القائمة بين مكوّنين أو مكوّنات في المركّب الاسميّ أو الجملة. ونجد مصطلح الوظيفة بهذا المعنى متداولا في جلّ الأنحاء بما فيها الأنحاء التّقليديّة، مع اختلاف من نحو إلى نحو أو من نمط إلى نمط من الأنماط، مردّه نوع العلاقة التي يرد رامزا إليها. ففي الأنحاء الصّوريّة يُستعمَل هذا المصطلح؛ للدّلالة على العلاقات التّركيبيّة: كعلاقات الفاعل، والمفعول، والمفعول المباشر، والمفعول غير المباشر. وفي الأنحاء ذات المنحى الوظيفيّ، يُستخدَم للدّلالة على كلّ العلاقات التي يمكن أن تقوم داخل الجملة أو داخل المركّب؛ فالنّحو الوظيفيّ مثلا يميّز بين ثلاثة مستويات من الوظائف: وظائف دلاليّة (منفّذ، متقبّل، مستقبل، زمان، أداة...) ووظائف تركيبيّة (فاعل، مفعول) ووظائف تداوليّة (محور، بؤرة). أمّا الوظيفة الدّور؛ فيُقْصَدُ بها الغرض الذي تُسخِّر الكائنات البشريّة اللغات الطّبيعيّة من أجل تحقيقه."[2] والفرق الأساس بين مفهومي الوظيفة العلاقة والوظيفة الدّور في هذين المعنيَين تحديدا حسب المتوكّل، هو أنّ العلاقة رابط بنيويّ، قائم بين مكوّنات الجملة أو مكوّنات المركّب، في حين أنّ الدّور يخصّ اللغة بوصفها نسقا كاملا، إلا أنّ التّباين الواضح بين المفهومين لا يُلْغِي ترابطهما.[3]

وقد اِستخُدم مصطلح الوظيفة عند النّحاة العرب المحدثين بمعاني مختلفة، تبتعد في كثير من الأحيان عن المقصود بها في نظريّة النّحو الوظيفيّ أو غيرها من نظريات البحث اللسانيّ؛ فهي عند تمام حسان بمعنى النُّظُم الاجتماعيّة التي من شأنها أن تحدّد معنى اللغة في جانبها الشّكليّ؛ حيث يرى أنّه "إذا نظرنا إلى اللغة باعتبارها مجموعة من النُّظم الوضعيّة الاجتماعيّة، ذات أقسام من الأنماط

---

[1]– ينظر: أندري مارتيني، مبادئ في اللسانيات العامّة، تر: سعدي زبير، دط. الجزئر: دت، دار الآفاق، ص31.

[2]– أحمد المتوكّل، التّركيبات الوظيفيّة قضايا ومقاربات، ط1. الرّباط: 2005، مكتبة دار الأمان، ص21–23.

[3]– أحمد المتوكّل، التّركيبات الوظيفيّة قضايا ومقاربات، ص23.

والعلامات، وجدنا أنّ من الممكن أن تستقلّ بمنهجها عن مناهج العلوم، ويأخذ منهجها في اعتباره الشّكل والوظيفة؛ باعتبارهما أساسين من أسس بنائه، يُطَبَّقان في كل فرع من فروع الدّراسات اللغويّة، هذه الدّراسات ليست إلاّ مجموعة متناسقة متكاتفة، متلاحمة من المناهج الفرعيّة؛ لتناول الأحداث اللغويّة منطوقة أو مكتوبة."[1] أمّا عند محمّد داود عبده الذي اختار أن يكون هذا المصطلح عنوانا لأحد كتبه في تعليميّة اللغة العربيّة، تحت عنوان (نحو تعليم اللغة العربيّة وظيفيّا) فهي لا تعني كطريقة تعليميّة، سوى أن يهدف تعليم اللغة إلى تحقيق القدرات اللغويّة عند التّلميذ؛ بحيث يتمكّن من ممارستها في وظائفها الطّبيعيّة العمليّة ممارسة صحيحة، وهذا الوظائف ليست سوى المهارات اللغويّة المعروفة في تعليميّة اللغات بصفة عامّة، والتي هي كما عبّر عنها محمّد داود فهم المنطوق والمكتوب أو القراءة والمحادثة والكتابة.[2] وفي كتاب آخر رغم تخصّصه في النّحو العربيّ إلا أنّ أبى إلا أن يعتمد هذا المصطلح عنوانا لأحد كتبه التّعليميّة، تحت عنوان (النّحو الوظيفيّ) بعد أنْ قسَّم هذه المّادة إلى قسمين "نحو وظيفيّ ونحو تخصّصي، والنّحو الوظيفيّ منهما، هو مجموعة القواعد التي تؤدّي الوظيفة الأساسيّة للنّحو، وهي ضبط الكلمات، ونظام تأليف الجمل؛ ليسلم اللسان من الخطأ في النّطق، ويسلم القلم من الخطأ في الكتابة. أمّا النّحو التّخصّصيّ؛ فهو ما يتجاوز ذلك من المسائل المتشعّبة، والبحوث الدّقيقة التي حفلت بها الكتب الواسعة."[3] وليس في اعتقادنا هذا النّحو الذي يقصده المؤلّف، سوى تلك القواعد التي يبتعد بها معلّم النّحو عن الحشو في شرح المسائل النّحويّة والتّعليل والتّعقيد، وكلّ ما يجهد عقل المتعلم.

وبهذا التّمييز بين النّحو الوظيفيّ في اللسانيات والنّحو الوظيفيّ عند بعض النّحاة العرب المحدثين، يمكن فهم النّحو الوظيفيّ في اللسانيات على أنّه تلك النّظريّة التي تستهدف وصف اللغة بربطها بوظيفتها الأساسيّة وهي التّواصل، كما سيأتي بيانه في مبادئ هذه النّظريّة. في حين أنّ النّحو الوظيفيّ عند النّحاة العرب المحدثين، هو تلك القواعد التي تبتعد عن الحشو والتّعليل والتّقدير، وكلّ ما يجهد عقل المتعلّم، بما يمكِّنه من استخدام هذه اللغة في الكتابة والمحادثة استخداما صحيحا.

---

[1]– تمام حسّان، مناهج البحث في اللغة، ص29. نقلا عن: محمّد بودية، الوظيفيّة في اللسانيات العربيّة: دراسة في الرّسالة الهزليّة لابن زيدون، بحث ماجستير، جامعة محمّد خيضر بسكرة، الجزائر: 2008، ص37.

[2]– ينظر: محمّد عبده، نحو تعليم اللغة العربيّة وظيفيّا، ط1. مؤسّسة دار العلوم، الكويت: 1979، ص09.

[3]– عبد العليم إبراهيم، النّحو الوظيفيّ، ط9. القاهرة: 1969، دار المعارف، المقدّمة.

ثانيا– مفهوم النّحو الوظيفي: يُطلق مصطلح النّحو الوظيفيّ (functional grammar) في اللسانيات، على النّحو الذي أسّسه اللسانيّ الهولنديّ سيمون ديك (Simon Dike) وأتباعه ممن يُعرَفون بأصحاب النّحو الوظيفيّ، بجامعة أمستردام الهولنديّة، بعد أن "أجروا دراسات لغويّة متنوّعة تجاوزت عقدين من الزّمن، مسّت مجال: الدّلالة، والتّداول، والمعجم، والتّركيب، في لغات مختلفة تنتمي إلى فصائل متباينة نمطيّا: كاللغة الهولنديّة، والإنجليزيّة، والفرنسيّة، والعربيّة. وتمكّنت من خلالها أن تؤسّس لنفسها مكانة علميّة متميّزة، بين النّظريّات اللسانيّة المعاصرة بصفة عامّة والنّظريّات النّحويّة بصفة خاصّة؛ حيث أصبحت الوريث الشّرعيّ للنّظريّات النّحويّة الوظيفيّة قبلها وتطمح منذ الثّمانينات إلى أن تكون بديلا للنّظريّة التّوليديّة التّحويليّة."[1] وقد انتقل هذا النّحو إلى الوطن العربيّ عن طريق الباحث اللساني أحمد المتوكّل الذي "تمكّن بفضل رسوخ قدمه في التّراث اللغويّ العربيّ، وحسن استيعابه للنّظريّات اللغويّة الحديثة، من إغناء الدّراسات النّحويّة العربيّة بمفاهيم ومصطلحات حديثة، شكّلت نظريّة علميّة متماسكة، وهي مرشّحة أكثر من غيرها، لأن تكون بديلا معاصرا للنّظريّة النّحويّة القديمة، بفضل كفايتها النّفسيّة والتّفسيريّة والنّمطية والتّطبيقيّة، وبفضل بنية نحوها أو جهازها الواصف الذي يتميّز بالدّقة والمرونة."[2] ثمّ انتشر بين مختلف الأقطار العربيّة، عن طريق سلسلة البحوث التي أجراها أحمد المتوكّل وغيره من الباحثين اللسانيين المغاربة بجامعة محمّد الخامس بالرّباط، ليشمل: الجزائر، وتونس، وموريتانيا، والعراق، وسوريا، بدرجات متفاوتة في التبنيّ ورقعة الانتشار.[3]

ويشير الباحث اللسانيّ الجزائريّ (يحيى بعيطيش) وهو أحد أتباع نظريّة النّحو الوظيفيّ، إلى أنّه يمكن التّمييز في هذه النّظريّة من خلال جهازها الواصف، بين مرحلتين: مرحلة نحو الجملة أو ما يُعرَفُ في هذه النّظريّة بنموذج الجملة، الذي ظهر للوجود عام (1978) من خلال كتاب سيمون ديك، النّحو الوظيفيّ (functional grammar) والذي تبعته أبحاث ومؤلّفات أخرى صبّت كلّها في نحو الجملة إلى نهاية سنة (1988). ومرحلة نحو النّص أو ما يُعرَفُ كذلك في أدبيات هذه النّظريّة بنموذج النّص الذي بدأ سنة (1989) بكتاب سيمون ديك نظريّة النّحو الوظيفيّ (The Theorie of

---

[1]– يحيى بعيطيش، نحو نظريّة نحويّة وظيفيّة للنّحو العربيّ، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر: 2006، ص77.

[2]– يحيى بعيطيش، نحو نظريّة نحويّة وظيفيّة للنّحو العربيّ، ص77.

[3]– ينظر: أحمد المتوكّل، المنحى الوظيفيّ في الفكر اللّغويّ العربيّ الأصول والامتداد، ص61–62.

functional grammar) الذي رسم فيه المؤلّف معالم نموذج نحو جديد، وأتبعه مع فريق من الباحثين، بدراسات وأبحاث لا تزال إلى اليوم، تُدقِّق مفاهيم هذا النّموذج وتوسّعه، في إطار جديد تجاوز نطاق نحو الجملة إلى نحو النّص.[1] أمّا من حيث النّماذج المؤطِّرة لهذه النّظريّة خلال مراحل تاريخها؛ فيشير المتوكّل نفسهُ إلى أن هذه النّظريّة قد عرفت خلال مراحل تاريخها ثلاثة نماذج نظريّة، هي: نموذج النّحو الوظيفيّ النّواة أو نموج ما قبل المعيار (Modèle Pré-Standard) وهو ما يُعرَفُ بنموذج نحو الجملة، ونموذج النّحو الوظيفيّ المعيار (Modèle Standard) وهو ما يعرف بنموذج النّحو القالبيّ، ونموذج النّحو الوظيفيّ ما بعد المعيار (Modèle Post-Standard) وهو ما يعرف بنحو النّص أو الخطاب بصفة عامّة:[2]

1- نموذج النّحو الوظيفيّ النّواة/ نموج ما قبل المعيار (1978-1988): شمِل هذا النّموذج بصفة عامّة، كلّ الدّراسات التي مسّت مجال الدّلالة، والتّداول، والمعجم، والتّركيب، في إطار الكلمة المفردة، والمركّب، والجملة البسيطة والمركّبة، مع التّركيز أساسا على الجملة البسيطة.

2- نموذج النّحو الوظيفيّ المعيار(1989-1997): شمل هذا النّموذج جملة من الدّراسات مسّت بعض القضايا المعجميّة، والتّركيبيّة، والتّداوليّة في إطّار الجملة المركّبة والمعقّدة، بعد أن أعادت فيها النّظر، بإجراء بعض التّعديلات عليها؛ لتناسب إنتاج الخطاب أو النّص الذي أصبحت فيه الملكة اللغويّة ملكة نصّية، تتشكّل من زمرة من الملكات، تتفاعل فيما بينها أثناء عمليتي إنتاج الخطاب وفهمه، متوسّلة بجملة من القوالب والطّبقات.

3- نموذج النّحو الوظيفيّ ما بعد المعيار (1997-...): هو النّموذج ظلّ خلال السّنوات الأخيرة محلّ تعديل وتحسين، وبحاجة إلى بحوث مكثّفة تمحّص وتغني فرضيّته الأساسيّة، القائمة على أطروحة التّماثل البنويّ الوظيفيّ للخطاب، والتي مفادها أنّ بنية الخطاب الطّبيعيّ بنية واحدة، تنعكس بكيفيّة واحدة في نموذج مستعمل اللغة الطّبيعيّة، سواء تعلّق الأمر بأقسام الخطاب الأربعة، بما فيها: الكلمة، والمركّب، والجملة، والنّص، أو باللغات المختلفة المتباينة نمطيّا: كاللغات الهندو-أوربيّة واللغات السّاميّة، أو بالأنماط التّبليغيّة المختلفة؛ اللغويّة وغير اللغويّة: كإشارات الصّم والبكم، والرّسم والموسيقى، والسّينما.

---

[1]- يحيى بعيطيش، نحو نظريّة نحويّة وظيفيّة للنّحو العربيّ، ص77-78.

[2]- ينظر: يحيى بعيطيش، نحو نظرية نحوية وظيفية للنّحو العربي، ص78-79.